بلاغة الخــروج عن مقتضى ظاهر الفصل و الوصــل فـــي التعــبير القـــــرآني
دراسة تحليلية

أ/ خالد محمد علي عون المشرقي
مدرس البلاغة والنقد في المعهد العالي لتأهيل المعلمين باب

ملخص البحث :
لما كان هدف البحث الانطلاق من حيث وصل الآخر بغية الوصول إلى نتائج جديدة وأغراض دلالية لم يسبق التوصل إليها للظاهرة الفصل والوصل. فقد اعتمد خطة تتكون من :
المقدمة : وهي التي أشار فيها الباحث إلى دوافع البحث . والدارسات السابقة له وأهميته وخطته .
التمهيد : خصص للحديث عن الوصل والفصل ومناقشة قوانينه البلا غية كما تناول الحديث عن المقصود من الخروج عن مقتضى الظاهر في الفصل والوصل.
المبحث الأول : الفصل في موضع الوصل . وأغراضه الدلالية وشمل المباحث الآتية :- الفصل لتوجيه الدلالة في اتحاد القول واختلاف القائل . -الفصل للإشعار بالكلام النفسي . -الفصل للإشعار باختلاف مرجع ضمير القول في : -صيغة الماضي المستند إلى ضمير الغائب المستمر . -صيغة الماضي المستند إلى الضمير البارز المتصل . - الفصل للتفسير والتوضيح — الفصل لتأكيد
المبحث الثاني : الوصل في موضوع الفصل . -عطف الخبر على الإنشاء وأغراضه الدلالية ومنها (الوصل لكمال الاستقلال في الحكم . -الإحالة إلى نصوص أخرى مشابهة مكملة لدلالة . -الوصل إ شعاراً بالتغاير في موطن التكرار .
المبحث الثالث : ما وصل في موطن وفصل في آخر مشابه له وسيشغل . -المشابهة الكلية والاختلاف في الفصل والوصل . -المشابهة في الهيكل البنائي والاختلاف في الفصل والوصل .
المبحث الرابع : الانزياح في استخدام حروف العطف وشمل: الانزياح عن المعيار الأسلوبي .الانزياح عن السياق المشابه في آية أخرى.

المقدمة

إن ما دفعني إلى دراسة هذه الخاصية الأسلوبية في النص القرآني ؛ هو أني- من خلال دراستي للخصائص الأسلوبية في سورة الشعراء في مرحلة الماجستير- وجدت بعضاً من الآيات تخرج عن القوانين التي حددها البلاغيون لظاهرة الفصل والوصل. كما وجدت الدارسين لظاهرة الفصل والوصل في النص القرآني لم يتعرضوا لها. فضلاً عن ذلك. فإن المفسرين عند تعرضهم لمثل تلك الآيات ذهبوا إلى تأويلات بعيدة قد تتفق مع قانون الظاهرة لكنها- على حدّ علمي- قد تختلف عن المقصود والسياق التي وردت فيه الآية . الدافع الثاني هو ناتج عن الدافع الأول ومتصل به وهو: أني وجدت أغلب الدارسين لهذه الظاهرة ينطلقون من القاعدة إلى النص . بمعنى أنهم يتناولون القوانين البلاغية لهذه الظاهرة ويلتمسون لها الشواهد من النص القرآني . دون أن ينطلقوا من النص القرآني ويقارنوه بالقاعدة فبدت أعمالهم أشبه بالتكرار لما قاله السابقون . وكأن هذه القوانين لا تحتمل التعديل أو النقاش أو الإضافة . على الرغم من أن هناك الكثير من الآيات التي تتعارض مع تلك القوانين . كما سيلاحظ من خلال الآيات التي سيتناولها الباحث في الدراسة . نعم إن تلك القوانين التي وضعها البلاغيون للفصل والوصل وبخاصة عبد القاهر الجرجاني – كانت مستنبطة من النصوص والنص القرآني على وجه الخصوص لكنها تبقى اللبنة الأولى والشمعة المضيئة في درب التذوق للنصوص واستنباط القاعدة منها ولهذا كان الجرجاني حكيماً حينما أطلق تلك القوانين ؛ معممة دون تفصيل وأخفق الذين جاءوا بعده وأخذوا تلك القوانين وفصلوها والتمسوا لها الشواهد جاعلين لها من موجبات الفصل أو الوصل . وكان أكثر منهم خطأ أولئك الذين آخذوا تلك التفصيلات جاهزة والتمسوا لها من النص الشواهد التي تتفق معها دون أن يدرسوا النص ويقارنوه بتلك القوانين فأصبحوا مكررين لما قيل .

الدراسات السابقة : كثيرة هي الدراسات التي تناولت ظاهرة الفصل والوصل بالبحث في الكتب البلاغية قديمها وحديثها لكنها على حد علم الباحث لم تخرج عن التفصيلات التي وضعها البلاغيون لقوانين الفصل أو الوصل التي استنبطها عبد القاهر بذوقه الرفيع إذا استثنينا من ذلك الدكتور محمد أبو موسى في كتابه دلالة التراكيب الذي أشار فيه إلى إخفاق بعض هذه القوانين أمام النص القرآني مستدلاً عليها ببعض الشواهد القرآنية داعياً إلى إعادة الدراسات لتلك القوانين من خلال النص القرآني [1] ، أما الدراسات التي خصصت لهذه الظاهرة في النص القرآني فهناك العديد منها غير أنها درست هذه الظاهرة في النص بأكمله ولم تخصصها بظاهرة أسلوبية محددة هذا أمر الأمر. الآخر أن تلك الدراسات - على أهميتها- لم تضف جديداً لقوانين الفصل أو الوصل كونها انطلقت من القانون البلاغي إلى النص كما ذكرت سابقاً . ولم تعمل العكس . فضلاً عن ذلك فإنها أهملت الآيات التي تتعارض مع تلك القوانين . وهو ما سيتناوله هذا البحث

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث من كونه انطلق من النص المعجز إلى القاعدة وهذا سيحقق أمرين: الأول: الإشارة إلى إعجاز القرآن الكريم في استخدام هذه الظاهرة الأسلوبية, الثاني إعادة الدراسة لقوانين الفصل والوصل ومناقشتها من خلال النص القرآني المعجز, والخروج بنتائج جديدة ومن ذلك.

-أن هناك أغراضا دلالية جديدة للفصل والوصل لم يتعرض لها البلاغيون أو المفسرون.

- الإثبات أن تفصيلات البلاغيين بعد عبد القاهر لقوانينه المجملة وجعلهم تلك التفصيلات قوانين موجبة للفصل أو الوصل لم تكن دقيقة.

- الوقوف عند ظاهرة بلاغية قرآنية تكرر ظهورها في أكثر من موضع ؛ وهي الفصل بتكرار (قال) بين قولين لقائل واحد وبيان أسرارها البلاغية.

التمهيد

الفصل والوصل

الوصل لغة: خلاف الفصل وصل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلاً وصلة وفي التنزيل العزيز ولقد وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ أَي وَصَّلْنا ذِكْرَ الأَنْبياء وأَقاصِيصَ من مَضَى بعضها ببعض لعلهم يَعْتَبرون. واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء لم ينقطع. ووصل الشيءُ إِلى الشيء وُصُولاً, وتَوَصَّل إِليه انتهى إِليه وبلغه. ووصله إِليه وأَوْصَله أَنهاهُ إِليه وأَبْلَغَهُ إِياه وفي حديث النعمان بن مُقَرِّن: أَنه لما حمَل على العدُوِّ ما وَصَلْنا كَتِفَيْه حتى ضرَب في القوم ؛ أَي لم نَتَّصِل به ,وفي حديث عليّ رضي الله عنه: صِلوا السيوفَ بالخُطى والرِّماحَ بالنَّبْل قال ابن الأَثير؛ أَي إِذا قصرت السيوف عن الضَّريبة فتقدَّموا تَلْحَقوا وإِذا لم تَلحَقْهم الرماحُ فارْمُوهم بالنَّبْل.[2]

الفصل لغة: الحاجز بين الشيئين فَصَل بينهما يفصِل فَصْلاً فانفصَل وفَصَلْت الشيء فانفصل أَي قطعته فانقطع. والفصل القضاء بين الحق والباطل واسم ذلك القَضاء الذي يَفْصِل بينهما فَيْصَل وهو قضاء فَيْصَل وفاصِل. ذكر الزجاج أَن الفاصل صفة من صفات الله عز وجل يفصل القضاء بالخلق, وقَوْل فَصْل حقٌّ ليس بباطل. ووصف كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فَصْل لا نَزْر ولا هَذْر أَي بيِّن ظاهر يفصِل بين الحق والباطل, ومنه قوله تعالى: ((إِنه لقول فَصْل)) الطارق[13]؛ أَي فاصل قاطِع. ومنه يقال فَصَل بين الخصمين وفصل من الناحية ؛ أَي خرج وفي الحديث: ((من فَصَل في سبيل الله فمات أَو قتِل فهو شهيد)) أَي خرج من منزله وبلده. وفصل المولودَ عن الرضاع يَفْصِله فَصْلاً وفِصالاً وافْتَصَلَه فَطَمه والاسم الفِصال. قال اللحياني: فَصَلته أُمُّه ولم يخص نوعاً. وفي الحديث: ((لا رَضاع بعد فِصال)) قال ابن الأَثير: أَي بعد أَن يُفْصَل الولد عن أُمِّه. وبه سمي الفَصِيل من أَولاد الإِبل ؛ فَعِيل بمعنى مفعول. والفصل واحد الفصول يقال: فَصَل فلان من عندي فُصُولاً إِذا خرج. وفَصَل مني إِليه كتابا إِذا نفذ. قال الله عز وجل: ((ولما فَصَلَتِ العِيرُ))يوسف[94]؛ أَي خرج ؛ ففصل يكون لازماً ومتعدياً وإِذا كان متعدياً فمصدره الفَصْل, وإِذا كان لازماً فمصدره الفصُول.[3]

المعنى الاصطلاحي للوصل والفصل:

يقصد بالوصل عطف جملة على أخرى بالواو خاصة . وبالفصل ترك هذه الواو[4] يفهم من خلال التعريف السابق أن الفصل والوصل خاص بالجمل دون المفردات .وأن الأداة المستعملة في الوصل هي الواو دون غيرها من أدوات العطف الأخرى . فضلاً عن ذلك فإننا نجد البلاغيين يخصون في حديثهم الجمل التي لا محل لها من الإعراب دون غيرها معللين هذا التخصيص بأن دقة الوصل والفصل إنما تظهر في ذلك . أما عطف المفرد على المفرد فإنه يأتي للتشريك في الحكم فأمره سهل . وكذلك الجمل التي لها محل من الإعراب لوقعها موقع المفرد .[5]

أما تخصيصهم للواو دون غيرها ذلك ؛ لأنها تأتي لمطلق التشريك في الحكم. دون إفادتها معانٍ زائدة على ذلك.[6] بعكس الفاء فإنها تفيد الترتيب والتعقيب . وثم تقيد الترتيب والتراخي . وكذا بقية الأدوات الأخرى . فإنها تأتي لمعان نحوية أخرى مفهومة . ومن أجل ذلك ترك الحديث عنها . وخالفهم في ذلك السكاكي إذ ذهب إلى أن كلا من الفصل والوصل يأتي في عطف الجمل . والمفردات . وفي العطف بالواو وغيرها من أدوات العطف . وأن المعول عليه هو الجهة الجامعة .[7]

بلاغة الفصل و الوصل .

يعد الفصل والوصل في المرتبة الأولى بين أبواب البلاغة بل إن الجاحظ . وعبد القاهر يعدانه هو البلاغة ؛ إذ نجد الجاحظ يجعله واحداً من تعريفات البلاغة التي ساقها في كتابه البيان والتبيين ؛ فقد روى مجموعة من الأقوال عن تعريفات البلاغة على لسان أبي الزبير . ومحمد بن أبان ومن ضمنها قول الفارسي بأن البلاغة معرفة الوصل والفصل .[8]

وقال أبو العباس السفاح لكاتبه : قف عند مقاطع الكلام وحدوده ، وإيّاك أن تخلط المرعى بالهمل. وكان يزيد بن معاوية يقول : إياكم أن تجعلوا الفصل وصلا ، فإنه أشدُّ وأعيبُ من اللَّحن. وقال المأمون ما أتفحّص من رجل شيئاً كتفحّصي عن الفصل والوصل في كتابه ، والتخّلص من المحلول إلى المعقود ، فإنّ لكل شيء جمالاً ، وحلية الكتاب وجماله إيقاع الفصل موقعه ، وشحذ الفكرة وإجالتها في لطف التخلص من المعقود إلى المحلول.[9] وما ذلك إلا لدقة المعاني والأغراض التي تأتي من خلال الفصل والوصل خاصة في النظم القرآني . فلربما أوحى لك فصل هنا ووصل هناك بمعان ما كانت لتوجد بمثل تلك الروعة . والجمال لولا الاستخدام المعجز لهذه الخاصية في النص القرآني . وسنرى ذلك من خلال تحليل الباحث لبعض الآيات في بطن هذا البحث . على أن مثل تلك المعاني الرائعة لن تأتى إلا بالمقارنة والتحليل . والوقفة المتدبرة لآي النظم الكريم . ومن أجل ذلك قال عبد القاهر : ((وأعلم أن ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه أنه خفي غامض . ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى)) .[10] كيف لا وقد استعصى فهم أسراره على كثير من العلماء أمثال الزجاج . والمبرد . يقول الحريري ((ومما ينظم في إقحام

الواو ما حكاه أبو إسحاق الزجاج – رحمه الله – قال : سألت المبرد عن العلة في ظهور الواو في قولنا ((سبحانك الله , وبحمدك)) فقال لي : سألت أبا عثمان المازني عماً سألتني عنه فقال : المعنى سبحانك ((أللهم , وبحمدك سبحتك)) [11]

قوانين الفصل والوصل رؤية نقدية :

على الرغم من أن بوادر الحديث عن الفصل والوصل بدأت عند سيبويه , والفراء مروراً بالجاحظ وأبو هلال العسكري , إلا أن بحثهم عنه لم يكن منظماً ولا مفصلاً إلى أن جاء عبد القاهر فبحث الفصل والوصل بحثاً منظماً يقوم على التقسيم , والتعليل , فبدأ الحديث عن المفرد , وجعله مقدمة للبحث عن الجملة , ومن ثم حصر كلامه على الجمل التي لا محل لها من الإعراب ؛ معللاً ذلك بأن الإشكال يبدو فيها دون غيرها . [12]ومن خلال قراءته لتلك الجمل في النص القرآني , وفي غيره من النصوص خلص إلى قوانين عامة مجملة للفصل والوصل , مقسما الجمل إلى ثلاث أضرب :

- جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد من المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة شبّه العطف فيها بعطف الشيء على نفسه.
- جملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى فحقها العطف.
- جملة ليست في شيء من الحالين بل سبيلها مع التي قبلها سبيل شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به, وأن يكون ذكر الذي قبله , وترك الذكر سواء لعدم التعليق بينهما رأساً , وحق هذه ترك العطف البتة ؛ فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية , والعطف لما هو واسطة بين الأمرين , وكان له حال بين الحالين . [13]وعلى هذا الأساس جاءت تفصيلات البلاغيين بعده , إذ جعلوا للفصل المواضع الآتية

مواضع الفصل بين الجمل: أن تسبق الجملة الثانية بجملة لها محل من الإعراب , وأن تقصد بحكم لم يقصد إعطاؤه للثانية , ومن ذلك قوله تعالى : " وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم"البقرة[14] فقد فصل جملة [الله يستهزئ بهم] عن قالوا لهذا الغرض ؛ إذ إنه لو وصله بالواو لتوهم المخاطب أنها معطوفة على إنّا معكم ومن ثم ستكون من مقولهم ؛ أي أنهم قالوا : إنا معكم وقالوا الله يستهزئ بهم ولما كان ذلك غير المقصود فصل ليشعر بأن (الله يستهزئ بهم) من كلام الله هذا ما قاله البلاغيون مع أن هناك من الآيات مشابهة لمثل هذا الحكم ومع ذلك وردت موصولة بالواو ولم تشعر بهذا الوهم وإنما كانت هناك أسباب حتمت الفصل هنا والوصل هناك سنتحدث عنها لاحقا

الفصل لكمال الانقطاع ،و يتحقق بأمرين : الاختلاف بين الجملتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى أو معنى فحسب, كقولهم لا تدن من الأسد يأكلك, وهل تصلح لي كذا أدفع إليك الأجرة بالرفع

فيهما. أو معنى لا لفظا كقولك مات فلان رحمه الله [14] فالجملة الأولي في المثال الأول إنشائية ؛ لأنها نهي (لاتدن من الأسد) والثانية خبرية(يأكلك)

ألا يكون بين الجملتين جامع .[15] ولعل نظرتهم الشكلية للوصل والفصل هي التي جعلتهم يخصون كمال الانقطاع بهذين الأمرين مع أن هذه النظرة ليس لها فائدة من الناحية البلاغية . فضلاً عن ذلك فإن هناك من الآيات القرآنية التي ورد فيها الخبر معطوفاً على الإنشاء أو العكس . وكان لذلك العطف مغزى دلالي لن يكون دون العطف كما سنبين ذلك بعد قليل . وما يعزز تلك النظرة الشكلية عندهم للفصل والوصل ما ذكره الزركشي في البرهان ؛ ذكر أن البيانين استمدوا قول الأصوليين المبنى على أن الواو تجعل المتعاطفين كالنظيرين والشريكين بحيث إذا علم السامع حال الأول عساه أن يعرف حال الثاني – فذهبوا إلى أن القِران في اللفظ يوجب القِران في الحكم فاشترط – بذلك- البيانيون التناسب بين الجمل لتظهر الفائدة حتى أنهم منعوا عطف الإنشاء على الخبر وعكسه. [16] نعم قد يفهم اشتراطهم لوجود التناسب بين الجمل إذا كان مقصودهم من ذلك التناسب المعنوي . وليس اللفظي المحض . وذلك يعود إلى معرفة مقصود المتكلم من كلامه . [17]لكن أن يكون اختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء موجباً للفصل ففيه شيء من عدم الدقة .

الفصل لكمال الاتصال : ويتحقق بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى أو بدلاً منها أو موضحة ومبينة لها.

شبه كمال الانقطاع : وحدّوه بأن توجد جملة في مضمون جملتين يصح عطفها على الأولى منها ولا يصح عطفها على الثانية فيترك العطف كلية منعاً لذلك ومثلوا له يقول الشاعر :

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الظلام تهيم

قالوا : " إنما لم يعطف – أراها – بالواو لئلا يتوهم المخاطب أنها من مظنونات سلمى وليست من كلام الشاعر لذا ترك الوصل كلية منعا لهذا الوهم[18]. و يرى الباحث أن لا ضرورة لمثل هذه التسمية خاصة وأن هذا المثال يندرج تحت شبه كمال الاتصال الآتي. إذ إن ((أراها)) بمثابة الجواب لسؤال مقدر.

شبه كمال الاتصال :

. وحدّوه بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة الجواب لسؤال نشأ من خلال الجملة الأولى . كقوله تعالى : " قالوا سلاماً قال سلامٌ "الذاريات[25] فصلت جملة (قال) ؛ لأنها بمثابة سؤال نشأ من الأولى فكأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال سلامٌ .

مواضع الوصل بين الجمل :

ذكر الخطيب في الإيضاح بعد أن تحدث عن مواضع الفصل ما نصه " وإن لم يكن بين الجملتين شيء من الأحوال الأربع.[19] تعين الوصل"[20]. إن مثل هذا الإطلاق والتعين تنقصه الدقة. لأن ذلك يوحي بالوجوب الذي يعني أن الخروج عليه يعد خطأ وليس مؤشراً بلاغياً لدلالة تستشف من خلال هذا الخروج.

كما يوحى بقصر ظاهرة الفصل والوصل على الظاهر من الخطاب دون غرض المتكلم الذي أنشأه والذي من أجله كان نظمه للكلام. والحقيقة التي لمسها الباحث في النص القرآني أن هناك الكثير من الآيات التي خرجت عن مقتضى الظاهرة من الفصل أو الوصل, وكان لخروجها أسرار بلاغية لم تكن لتوجد لولا هذا الخروج, ومن المواضع التي سردها للوصل بين الجمل :

الوصل لدفع الإيهام كقول البلغاء – لا و أيدك الله ومقتضى الوصل هنا أن الفصل يوهم أن الجملة دعاء على المخاطب وليس دعاء له مع أنهما مختلفتان في الخبر والإنشاء دفعاً لتوهم ذلك.

الوصل للتوسط بين الكمالين[21] وهو ضربان : أحدهما : أن تتفق الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى كقوله تعالى : " إن الأبرار لفي نعيم, وإن الفجار لفي جحيم " الانفطار[25]وقوله : " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا. " الأعراف[31]فالجملتان في الآية الأولى متفقتان في الخبر لفظاً ومعنى و في الثانية متفقتان في الإنشاء لفظاً ومعنى.

الثاني : أن تتفقا كذلك معنى لا لفظاً كقوله تعالى : "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً" الأنعام [151]عطف قوله :[قولوا] ؛ التي هي إنشائية في اللفظ والمعنى على قوله [وبالوالدين إحسانا] ؛ التي هي خبرية لفظا غير أنها إنشائة في المعنى ؛ لأنها بمعنى وأحسنوا .

الخروج عن مقتضى الظاهر في الوصل والفصل

إن الخروج عن مقتضى الظاهر سمة إبداعية في الخطاب الأدبي بشكل عام وفي النص القرآني على وجه الخصوص ذلك لما في هذه السمة من كسر حدة التوقع عند القارئ أو السامع فضلاً عما تنتجه هذه السمة من دلالات زائدة وإضافية على التعبير المعتاد من خلال المقارنة والتحليل ولذا فإن هذه الظاهرة قد برزت في التعبير القرآني مع خصائص بلاغية عديدة كالخبر والإنشاء , والذكر والحذف والتعريف والتنكير , ووضع الضمير موضع الاسم الظاهر أو العكس , تعرض لها البلاغيون في سياق الحديث عن الظاهرة موضحين الغرض البلاغي منها .

بيد أن الحديث عن هذه الظاهرة مع خاصية الفصل والوصل لم يتناول من قبل على حد علم الباحث لا في القديم ولا في الحديث فضلاً عن تحليلها وبيان أغراضها البلاغية.

على أنه قبل الحديث عن ذلك يحسن بناء الإشارة إلى المقصود من هذه الظاهرة- في الفصل والوصل-.يقصد بهذه الظاهرة عدول النص القرآني عن القوانين البلاغية التي حددها البلاغيون للوصل والفصل بين الجمل بحسب الظاهر من الخطاب وذلك بعدوله تارة إلى الفصل بين الجمل وظاهر الخطاب يقتضي الوصل, وتارة أخرى بعدوله إلى الوصل والظاهر يقتضي الفصل لأغراض بيانية يبتغيها من خلال هذا العدول- و التي ستكتشف من خلال تحليل الباحث لها في صدر هذا البحث- فإذا كان الظاهر –بحسب

تفصيلات البلاغيين لقوانين عبد القاهر- يقتضي الفصل بين الجمل إذا اختلفتا في الخبر والإنشاء كما هو الغالب الملاحظ من النصوص فإن العدول أو الانزياح عنه إلى الوصل يعد خروجا عن هذا الظاهر ومن ذالك قوله تعالى : ((ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه وإنّه لفسق))الأنعام[121] ؛ ذلك لأن الجملة الأولى إنشائية في اللفظ والمعنى .والثانية خبرية في اللفظ والمعنى.

كذا وصل الجملة التي هي بمنزلة التوكيد للجملة السابقة لها يعد خروجا عن مقتضى الظاهر لأن بينهما اتحاد تام يحتم الفصل بحسب الظاهر من الخطاب كقوله تعالى : ((يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين))آل عمران[42] فالظاهر أن تفصل جملة اصطفاك على نساء العالمين لأنها تبدو في الظاهر أنها بمنزلة عطف البيان من الأولى كقوله تعالى : ((الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)) غير أن الخطاب خرج إلي الوصل.

وإذا كان الظاهر يقتضى الوصل بين الجملتين اللتين بينهما مناسبة وأريد إشراك الثانية في حكم الأولى . فإن الفصل يعدّ خروجا عن مقتضى الظاهر كقوله تعالى: ((قال الملأ من قوم فرعون إنّ هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين)).الأعراف [109]فضلا عن ذلك فإنّ هنالك بعض الآيات المتشابهة في النظم ومع ذلك وجدنا بعضها خضعت لقانون الوصل وبعضها خضعت لقانون الفصل وهو ما يؤكد بوضوح أن ظاهرة الفصل أو الوصل لا تخضع للظاهر من الخطاب بقدر ما تخضع للمعنى العميق المراد من الخطاب.

نعم قد يكون الظاهر أو القانون البلاغي مؤشرا ودليلا للمعني العميق لكنّه ليس ملزما وموجبا له ؛ فقد ينزاح النص عنه وهو في انزياحه هذا أبلغ وأجمل من الأخذ به كما هو الحال في المجاز .والإسناد الخبري والتعبير بالاسم الظاهر في موطن الضمير أو العكس وغير ذلك ممّا عدّه البلاغيون قديما عدولا في الأسلوب ومن ثم فإنّ عدّ تفصيلات البلاغيين لقوانين الفصل والوصل قوانين ملزمة للخطاب فيه شيء من الإجحاف ؛ لأنّ الوجوب يقتضى الإلزام ويوحي بأنّ الخروج عليه مخالفة وإخلال بالقاعدة الأمر الذي يضطر معه القارئ للنص وبخاصة النص القرآني إلى التأويل البعيد حتى يخضعه للقاعدة كما سنرى لاحقا . وكان الأولى أن يكون التعبير بالأصل أو الأغلب بدلا من الوجوب ؛بمعنى أن تستبدل عبارة ((من موجبات الفصل أو الوصل بين الجمل)) بعبارة الأصل أو الأغلب في الفصل والوصل.

الفصل في موضع الوصل

إن الذي يقصده الباحث من وراء ذلك خروج التركيب القرآني عن مقتضى الظاهر من التعبير . . وذلك بعدوله عن الوصل إلى الفصل في أكثر من موضع من النص القرآني ومن ذلك :

ظاهرة توسيط ((قال)) بين قولين لقائل واحد دون عطف .

تتكرر هذه الظاهرة في أكثر من موضع من القرآن ؛ إذ نجد النص القرآني يعرض قولين لقائل

واحد , والقول الثاني منها مفصول عن القول الأول على خلاف مقتضى الظاهر , ومن ذلك قوله تعالى : " قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ❖ قال فما خطبكم أيها المرسلون " الحجر [56] ,[57] وكذا غيرها من الآيات .[22] فمقتضى الظاهر بحسب تفصيلات البلاغيين لقوانين الفصل والوصل أن يوصل القولان بالواو ؛أي أن تربط جملة [قال] الثانية بـ[حملة قال] الأولى بالواو لا سيماً وقد اتحدتا في الخير لفظاً ومعنى مع وجود الجامع الذي برز بشكل واضح وجلي من خلال اتحاد المسند والمسند إليه في الجملتين .

بيد أن المتدبر لهذه الآيات سيلمس العديد من الأسباب التي حتمت العدول عن الوصل إلى الفصل , كما سيلمس أن تلك الأسباب لم تكشف عنها تفصيلات البلاغيين لقوانين الفصل والوصل , وحدها وإن كانت واحدة من عوامل عدة في السياق.وهذا يعني أن دراسة الظاهرة البلاغية في النص القرآني يجب أن تنطلق من النص نفسه , وتقارن بالقاعدة ,وليس العكس , كما فعل أغلب الدارسين للظواهر البلاغية في القرآن , فبدت دراستهم خارجة عن غرضها ؛ إذ إنها درست القاعدة ولم تدرس الظاهرة , فكانت تلك الدراسة تكراراً لما قيل إذ لم تضف جديدا إليها , على العكس من ذلك الدراسة المنطلقة من النص إلى الظاهرة إنها تكشف عن أغراض , أو تفصيلات جديدة تضاف لتفصيلات السابقين كما سيلاحظ من خلال دراسة الباحث للظاهرة الآنفة الذكر.[23]إذ توصل إلى أغراض يحسبها في نظرته القاصرة جديدة ومن تلك الأغراض :

-الفصل لتوجيه اتحاد القول واختلاف القائل

من الظواهر الأسلوبية في النص القرآني تكرار خطاب معين في موضعين من القرآن وينسب هذا الخطاب في أحد الموضعين لقائل, وفي الموضع الآخر لقائل آخر مع اختلاف يسير, فيأتي الفصل ليكشف عن السر في تكرار القول واختلاف القائل.من ذلك ما ورد في سورة الأعراف قال تعالى : " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحرٌ عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ❖ قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين ❖ يأتوك بكل ساحرٌ عليم " الآية [109-111].

فقد وردت هذه الآيات نفسها بالنص في سورة الشعراء عدا أنه نسب القول في هذه السورة لفرعون وليس للملأ , وذكر كلمة ((بسحره)) في هذا القول , وحذفه في سورة الأعراف وقال في الأعراف ((بكل ساحر)) وفي الشعراء ((بكل سحَّار) واستبدل ((أرسل)) في الأعراف ((بابعث)) في الشعراء ؛ قال تعالى : " قال للملأ حوله إن هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ❖قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين ❖ يأتوك بكل سحار عليم " الآية [35-37] إن ذلك يعني أن هذا النص تكرار لما في سورة الأعراف عدا أن ما في الأعراف ينسب القول فيه للملأ, وهنا نسب القول فيه لفرعون.و النظرة ألعجلى غير المتدبرة قد تذهب إلى أحد أمرين :

الأول – وهو ما ذهب إليه الملاحدة-إن في القرآن تناقضاً .

الثاني – وهو ما ذهب إليه المفسرون لهذه الآية – التأويل البعيد الذي لا يتسق مع الغرض ولا يحاكي عنصر الإعجاز في النص القرآني. لكن النظرة المتدبرة لخصائص النظم القرآني المعجز في الموضعين ستكتشف الغرض من خلال الفصل بين القولين في سورة الأعراف ؛ حيث قال تعالى : " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحرٌ عليم ❖ يريد ليخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ❖ قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين " بفصل جملة "قالوا أرجه وأخاه ..." عن الجملة الأول "قال الملأ " مع أن القولين لقائل واحد .

لكن قبل الحديث عن دور هذه الخاصية في توجيه الدلالة لا بد من الإتيان بتأويلات المفسرين للآية في سورة الأعراف والرد عليها معتمدين في ذلك آلية تحليل الخطاب التي هي المقصدية + المماثلة والمشابهة + نوع العلاقة . إن ما ذهب إليه المفسرون :أن قوله تعالى " إن هذا لساحرٌ عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون " في الأعراف كان تكراراً لقول فرعون في آية الشعراء وهم متفقون في ذلك لكنهم اختلفوا في الغرض منه فبعضهم ذهب إلى أن الغرض : التصديق والتقرير لكلام فرعون[24]وبعضهم قال : إنهم كرروا ذلك دون وعي لما يقولونه[25]. والباحث يتفق معهم في أن القول تكرار لكلام فرعون لكنه يختلف معهم في الغرض. فكيف ؟

إن الناظر في سياق النصين يجد أن عنصر المماثلة بينها يوحي بالموقف الذي سبق لقاءه السحرة فقد ورد النصان في السورتين بعد قوله تعالى : " فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ❖ ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين " وهذا يكشف أن نوع العلاقة بين النصين المتماثلين لا تخرج عن أن تكون علاقة تبجيل أو علاقة سخرية . لكن هل النص المماثل في الأعراف " إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون " كله من كلام الملأ ؟ أم أن " فماذا تأمرون " من كلام فرعون؟ كما قال أبو السعود مستدلاً بقوله تعالى في سورة يوسف" ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب "[26]

إن ما ذهب إليه أبو السعود غير مقنع لماذا ؟ لأنه إن أعطى تفسيراً للفصل بين القولين - " قال الملأ إن هذا لساحر عليم " " قالوا أرجه " على اعتبار أن القول الأول قول فرعون والثاني قول الملأ- ؛ فإنه لا يعطي تفسيراً للإتيان بضمير المخاطب المجموع في " يخرجكم أرضكم " لتعارضه مع المقصدية ونوع العلاقة في النصين المتماثلين إذا لو كانت العلاقة التبجيل لكلام فرعون السابق ؛ بمعنى التصديق والتقرير له كما ذهب إليه أبوا السعود لكان عبر بضمير المتكلم المجموع فقال : " يخرجنا من أرضنا " إلا إذا كان الخطاب موجها منهم للعامة على سبيل التبليغ غير أن ذلك يمنعه محاورة الخطاب الجارية بين فرعون والملأ بدليل فصل جملة " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحرٌ عليم "عن سابقتها في السورة[27].لم يبق إلا أن يكون الخطاب في الآية كله من كلام الملأ. لكن ما مقصدية الخطاب في الآية ؟

ذكر بعض المفسرين أن الخطاب كان موجهاً للعامة من الناس على سبيل التبليغ [28] . وهذا

التوجيه لا يتسق مع عنصر المماثلة بنوعيها الخارجية والداخلية , إذ إن المشاورة في العادة تطلب من الخاصة وهم الملأ دون العامة , فضلاً عن ذلك تكرارهم لـ" فماذا تأمرون "و أن هذه الآية وردت على لسان الملأ في الشعراء ؛ قال تعالى : " قال للملأ حوله إن هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون " . كما أن خطابهم لا يمكن أن يكون موجهاً لفرعون من قبل رد المشورة والأمر إليه كما ذهب إليه بعض المفسرين[29] ؛ لأن ذلك يمنعه –مشورتهم له– " قالوا أرجه وأخاه ".

لكن قد يقال : أن القول الأول كان غرضه التصديق لما قاله , والثاني إبداء المشورة , وهذا يمنعه التعارض المذكور سلفاً في المقصدية , ونوع العلاقة , بين الخطابين المتماثلين في السورتين , فضلاً عن ذلك فإنه يتعارض مع الفصل بين القولين ؛ إذ لو كان كما قيل لكان وصل بين القولين فقال : قال الملأ إن هذا لساحر عليم وقالوا أرجه.

فإذا استطعنا أن نثبت أن قوله تعالى : " إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون " في الأعراف كله من كلام الملأ , وأنه تكرار لكلام فرعون السابق وأنهم لا يقصدون التوجه به لفرعون , ولا للملأ ,إذا استطعنا أن نثبت ذلك من خلال حواره الداخلي والخارجي في سورة الشعراء ؛ فإننا نستطيع أن نثبت أن نوع العلاقة بين النصفين المتحاورين في الآية الأولى لكل منهما لم تكن علاقة تبجيل كما ذهب إليه أغلب المفسرين إنما هي علاقة سخرية واستهزاء من خلال الحوار الداخلي لنص الأعراف ومع خاصية الفصل تحديداً.

إن الفصل بين قوله تعالى : " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون " وقوله " قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين " يشير إلى الأمور الآتية :

يبدو أن قولهم الأول كان همسا أو جانبياً يقصد به السخرية والاستهزاء من كلام فرعون الموجه لهم أما خطابهم في القول الثاني "قالوا أرجه " فقد كان علناً وموجهاً لفرعون بقصد إبداء المشورة في الظاهر. يفسر ذلك أن موقف الخطابين : خطاب فرعون في الشعراء , وخطابهم في الأعراف وأحد كما أسلفنا .

أن الغرض من القول الأول التكذيب لقول فرعون السابق أو التفكير وإبداء الرأي أما الغرض من القول الثاني " أرجه وأخاه " الضغط على فرعون ومشاركته تعبيد العامة أو التأكد من صحة المعجزة لموسى فكيف ؟

إن الترديد النفسي أو الجانبي لما قاله فرعون لهم, " إن هذا لساحر عليم " الآية... يحتمل أمرين : الأول الاقتناع به فهم يبحثون عن حل.الثاني : أنهم غير مقتنعين به وغير مصدقين له, لكنه لا مس شيئا في نفوسهم. والأول يأباه تكرار هم لكلام فرعون بالنص دون تغير إلا في حذف كلمة بسحره كما يأباه الموقف المشاهد لفرعون من فعل المعجزة التي أتت معززة وداعمة لحججه الكلامية في المحاورة التي جرت بينه وبين فرعون في سورة الشعراء فجعلت فرعون يشتط غضباً , ويتهم موسى بالجنون ويسخر منه تارة ويتهدده

بالسجن تارة أخرى . لتأتي معجزة موسى التي أذهلت الجميع بما فيهم فرعون نفسه فقد ذكر المفسرون أنه طلب من موسى أخذ العصا مقابل الإيمان بما جاء به .[30] فضلاً عن ذكر تكرار هم لسؤال فرعون " فماذا تأمرون " الذي يلمس منه المحاكاة الساخرة كأنهم يقولون له الآن تطلب أمرنا ومشورتنا ومن سابق تدعى أنك ربنا الأعلى .[31]

إن كل ذلك يأبى أن يكون تكرارهم لكلام فرعون اهتماماً به ؛ لأنهم صدقوه . يكشف هذا - فضلاً عما سبق- مشورتهم المقدمة ؛ إذ لم يشيروا بقتله أو حبسه كما كان يظن فرعون إنما أشاروا بأن تختبر معجزته من قبل الأكفاء من السحرة ؛ لأنها سوف تكشف زيف ما ادعاه فرعون . وتبوح بما لم يستطيعوا البوح به عن طريق التجربة المشاهدة لكل الناس . وغرضهم من ذلك ليس التصديق لموسى وإنما الضغط على فرعون ؛ ليقبل مشاركتهم الخفية له في تعبيد العامة والسيطرة عليهم ؛ يكشف عن ذلك قوله تعالى في سورة هود" ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ❖ إلى فرعون وملأه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد "الآية [97] ألا يكون المقصود بالأمر شأن فرعون في التدليس على الناس وإخضاعهم بالقوة؟ هذا ما يبد ومن خلال قوله تعالى " فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم " يونس الآية [83]

من كل ذلك نخلص إلى : أن الفصل بين القولين- في قوله تعالى : في سورة الأعراف : " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ❖ قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين " قد كشف لنا أن القول الأول كان نفسياً أو جانبياً ولم يوجه لفرعون ولا للعامة من الناس بينما كان القول الثاني علناً وموجهاً لفرعون لغرض إبداء المشورة.

هذه المغايرة حتمت الفصل بين القولين الذي بدوره كان مفسراً لاتحاد القول في السورتين سورة الأعراف وسورة الشعراء واختلاف القائل . من حيث إن خطاب فرعون في سورة الشعراء كان موجهاً بقصد التكذيب لموسى . وإن خطابهم بنفس القول في الشعراء كان نفسياً وجانبياً ولم يكن موجهاً لأحد . بقدر ما هو تكرار لقول فرعون بقصد التفكير . كما يكرر الفرد كلاماً قيل. وهو غير مقنع أو مفهوم عنده.

- الإشعار بالكلام النفسي:

إن ما يعزز الكلام السابق ويتصل معه استخدام القرآن الكريم لهذه الظاهرة في مواطن عديدة من القرآن لأغراض عديدة منها : الإشعار بالكلام النفسي عن طريق الفصل بين قولين لقائل واحد بتوسيط (قال) بينهما دون عطف. من ذلك قوله تعالى في سورة الحجر مخبراً عن سيدنا إبراهيم : " قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ❖ قال فما خطبكم أيها المرسلون " الآية[56، 57]. إذ فصل النص القرآني بين قوله الأول" ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون "وقوله الثاني" فما خطبكم أيها المرسلون "بتوسيط (قال) بينهما دون عطف والسبب في ذلك على ما يبد- والله أعلم – أن قوله الأول كان نفسياً لم يقصد التوجه به

إلى الملائكة وإنما الإقرار والتسليم المطلق لإرادة الله بينما قوله الثاني كان مسموعاً قصد منه استفسارهم عن المهمة الموكولة إليهم , ومن أجل ذلك فصل بين القولين .

يتضح هذا الأمر أكثر عند الإتيان بالسياق كاملاُ : قال تعالى : " ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنّا منكم وجلون ❖ قالوا لا توجل إنّا نبشرك بغلام عليم ❖ قال أبشرتموني على مسني الكبر فبم تبشرون ❖ قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين ❖ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلاّ الضالون ❖ قال فما خطبكم أيها المرسلون ❖ قالوا إنّا أرسلنا إلى قوم مجرمين " الآيات [52, 57] .

يزداد الأمر وضوحاً عندما يصرح النص القرآني بهذا الغرض ثم يستخدم الأسلوب نفسه في سرد الأقوال , وذلك كما في قوله تعالى في سورة طه : " فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى ❖ قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ❖ فأجمعوا كيدكم ثم أتوا صفا ❖ وقد أفلح اليوم من استعلى ❖ قالوا إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى " الآية [62, 66] .أو ليس هذا النص كله من كلام السحرة ؟ إنّه كذلك باتفاق جميع المفسرين – لكن لما كان القول الأول سراً بينهم غير مصرح به إذ قال تعالى : " وأسروا النجوى " ثم فسر ذلك بالجملة بعدها , وكان قولهم الثاني علانية موجهاً لموسى عليه السلام ؛ فإنه فصل بين القولين لهذا الغرض على ما يبدو فضلاً عن ذلك اختلاف المخاطب بقولهم ؛ إذ إن الأول للسحرة أنفسهم والثاني لموسى عليه السلام ...

من ذلك أيضا قوله تعالى : " وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون ❖ إن هؤلاء متبر ما هم فيه , وباطل ما كانوا يعملون ❖ قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين " الآية [138-140]

إن النص القرآني قد فصل قوله تعالى : " قال أغير الله أبغيكم إلهاً... " عن" ... قال إنّكم قوم تجهلون " بتوسيط (قال) بين القولين والظاهر يقتضي الوصل ؛ لأن القولين لموسى عليه السلام إلا أنه فصل على ما يبدو إشعاراً بالمغايرة بين الخطابين من حيث إن الأول كان استنكاراً واستغراباً منه عليه السلام لطلبهم الذي ينم عن سخفهم وقلة عقولهم وشدة عنادهم وإنكارهم لما شاهدوه من الآيات ولذا أسند إليهم الجهل دون أن يخصصه بالمجهول وأتى بالفعل مضارعاً (تجهلون) وهذا الخطاب منه عليه السلام كان نفسياً غير مصرح به .

أما خطابه الثاني : " قال أغير الله أبغيكم إلهاً "فقد كان صريحاً مسموعاً لهم قصد من خلاله الإنكار عليهم طلبهم وتكذيبهم بنعم الله عليهم. وقد جاء الإنكار بالاستفهام لما فيه من الملاطفة واللين وشدة الإقناع ولذا قال (أبغيكم) دون تبغون. , ومن هنا تفهم ملاطفته- عليه السلام – لهم في الدعوة وشدة صبره عليهم على الرغم من عنادهم المفهوم من الكلام النفسي في الآية الأولى الذي أوحى به تكرار (قال).ويبقى السؤال عن الغرض من الإتيان بالكلام النفسي في النص القرآني, المفهوم من الفصل. إن لذلك

أغراضا دلالية عدة منها : -الإشارة إلى إلهية المصدر للقرآن الكريم . وتكذيب إدعاء المشركين أنه أساطير أكتتبها عليه الصلاة والسلام كما يزعمون . - الإيحاء بعلم الله المطلع على خفايا النفوس . - التخفيف من حزنه عليه الصلاة والسلام في مقام التكذيب وكشف عناد بني إسرائيل وتكذيبهم ومقابلتهم للنعم بالجحود والنكران فضلاً عما فيه من الأمر بالدعوة الحسنة عن طريق الإيماء الملحوظ في الآية السابقة.

- الإشارة إلى تعالق النصوص:

بالإضافة إلى الأغراض السابقة فإن الفصل بين قولين لقائل واحد بتوسيط (قال) بينهما دون عطف يأتي للإشارة إلى اتصال النصوص المتشابهة في النص القرآني وتعالقها معها عن طريق خاصية الفصل . ومن ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء : " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدام فسجدوا إلا إبليس قال أ أسجد لمن خلقت طيناً ❖ قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً " الآية [61 . 62].

في النص السابق نجد أن القرآن الكريم قد وسط (قال) بين قولي إبليس : " أأسجد لمن خلقت طيناً " . " أرأيتك هذا الذي كرمت علي " دون أن يأتي بالواو عاطفة حيث قال تعالى : " قال أأسجد لمن خلقت طيناً ❖ قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي ".

إن خروج النص عن مقتضى الظاهرة بعدوله عن الوصل إلى الفصل أشعر بأن القول الثاني لم يكن عقب القول الأول ومتصل به بل هناك أقوال أخرى لم يذكرها النص القرآني هنا اكتفاء بذكرها في مواطن أخرى مشابهة -على ما يبدو- وهي قوله تعالى : " قال فاخرج منها فإنك رجيم ❖ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ❖ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ❖ قال فإنك من المنظرين ❖ إلى يوم الوقت المعلوم " الآية [34-38] . وقوله تعالى في سورة الأعراف :" قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فا خرج إنك من الصاغرين ❖ قال أنظرني إلى يوم يبعثون ❖ قال إنك من المنظرين ❖ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم " الآية [13-16] .قال أبو السعود" فإن تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد للإيذان بأن بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالأول والثاني بالتبعية والاستتباع "[32]

يتصل بالغرض السابق قوله تعالى في سورة الأعراف : " قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ❖ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون " الآية [24. 25]

فإن فصل " قال فيها تحيون "عن القول السابق أشعر بما ذكر في سورة البقرة : " فتلقى آدام من ربه كلمات فتاب عليه "إذ وردت هذه الآية في سياق قوله تعالى : " وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ❖ فتلقى آدام من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم " [36. 37]

.

- الفصل إشعاراً باختلاف مرجع ضمير القول:

إن من الأغراض التي تأتي نتيجة الفصل بين قولين- يبدوان في الظاهر لقائل واحد -الإشعار باختلاف مرجع الضمير لكل منهما. يبرز هذا الغرض كثيراً مع مواضيع القول المتشابهة والمتكررة في سياق واحد ومن هذه الصيغ :

صيغة الماضي المسند إلى ضمير الغائب المستتر :

يقصد بذلك أن يكرر النص القرآني (قال) بتوسيطها بين قولين , يبدوان في الظاهر لقائل واحد إلا أن النص القرآني يشير إلى عكس ذلك عن طريق الفصل المدعوم بخصائص أخرى تبرز في السياق , ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف : " وجوزنا بني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ❖ إن هؤلاء متبر ما هم فيه , وباطل ما كانوا يعملون ❖ قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ❖ إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبنائكم ويستحيون نسائكم , وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم " الآية [138-141]

إن الظاهر من الخطاب أن المسند إليه القول في " قال إنكم قوم تجهلون " , " قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين " واحد وهو سيدنا موسى عليه السلام , إلا أن التدبر يفضي إلى أن المسند إليه في القولين مختلف , إذ إن القول الأول وهو من قوله تعالى : " قال إنكم قوم تجهلون "إلى قوله" وباطل ما كانوا يعملون " من كلام موسى , والقول الثاني . وهو من قوله تعالى :" قال أغير الله أبغيكم إلهاً "إلى نهاية الآيات من خطاب الله سبحانه وتعالى لهم بواسطة موسى

هذا ما يبدو وتشير إليه خصائص الخطاب التي من ضمنها الفصل بين القولين الذي أشعر بهذا الاختلاف فضلاً عن ذلك العطف بالواو وإسناد الفعل لضمير المتكلم المجموع في" وإذ أنجيناكم " إذ لو كان الخطاب في هذه الآية من موسى لكان عبر بضمير الغائب مع الفصل فقال : (أنجاكم) كما في الآية " 6 " من سورة إبراهيم حيث قال : " اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون "فضلاً عن ذلك فإن الفصل قد أحال إلى تناص هذه الآية لما في سورتي البقرة وإبراهيم .

صيغة الماضي المسند إلى الضمير البارز المتصل :

يتكرر الغرض السابق من الفصل في هذه الظاهرة مع صيغة أخرى هي صيغة الماضي المسند إلى الضمير البارز المتصل. ويتجلى إعجاز الأسلوب القرآني في هذه الظاهرة عند تشابه المسند إليه في صيغة القول المتمثل بالضمير الواو ولا يكون هناك محددات أو مؤشرات تدل على المرجع غيرها , وهذا ما نلمسه من خلال قوله تعالى في سورة الأنبياء قال تعالى : " قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ❖ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم " الآية [59, 60] إن الفصل بين صيغة (قالوا) الأولى, والثانية في هذا النص قد ميز الضمير المتصل بالقول في الصيغتين : " قالوا من فعل " و "قالوا سمعنا " عن طريق المرجع لكل منهما مع أنهما متفقان في الصيغة التي هي واو الجماعة.

إذ فهم من خلال الفصل أن القول الأول مسند إلى فئة معينة من القوم وهم السادة وعلية القوم . وأ ن القول الثاني مسند إلى مخاطبهم من العامة. يتضح هذا المعنى أكثر مع الوصل . فلو أننا وصلنا هذه الأقوال فقلنا : قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين وقالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ؛ لأصبح مرجع الضمير في القولين واحد ولكان المعنى مبنى على سرد أقوال صدرت منهم في مواقف مختلفة . ولما فهم أن النص مبني على الحوار بين فئتين كما هو الحال مع الفصل .

- الإشعار باختلاف المخاطب :

يتكرر الفصل بتكرار (قال) بين قولين لقائل واحد في أكثر من موضع في النص القرآني على خلا ف مقتضى الظاهر لأغرا ض بلا غية عديدة من ذلك بالإضافة إلى ما سبق – الإشارة إلى ا ختلاف المخاطب بالقولين كما في قوله تعالى : " قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ❖ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون " الأعراف الآية [24، 25] .

فهنا نجد النص القرآني يورد قولين مفصولين بتوسيط (قال) بينهما ومقتضى الظاهر أن يأتي بهما موصولين بالواو لأنهما لقائل واحد إلا أن النص القرآني عدل عن ذلك إلى الفصل للإشارة إلى اختلاف المخاطب بالقولين ؛ فالخطاب الأول لآدم وزوجه والشيطان. والخطاب الثاني لآدم وزوجه وذريتهما بدليل قوله تعالى: " وفيها تموتون ومنها تخرجون " لأن الإخراج من الأرض يقتضي سبق الدخول في باطنها وذلك هو الدفن بعد الموت والشياطين لا يدفنون . وقد أمهل الله إبليس بالحياة إلى يوم البعث فهو يحشر حينئذ أو يموت ويبعث ولا يعلم ذلك إلا الله تعالى.وقد جعل تغيير الأسلوب وسيلة للتخلص إلى توجيه الخطاب إلى بني آدم عقب قوله : " قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين "

وقد يجعل سبب تغيير الأسلوب بأن القول السابق قول مخاطبة والقول الذي بعده قول تقدير وقضاء أي قدر الله يحيون فيها وتموتون فيها وتخرجون منها[33]

- التأكيد على مضمون القول عن طريق الفصل والتكرار لقال :

يتكرر استعمال القرآن لظاهرة الفصل بين قولين لقائل واحد بتكرار " قال " بينهما في أكثر من موضع لأغراض بلاغية يقتضيها المقام ومن ذلك التشديد على مضمون القول وأهميته كقوله تعالى : " قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم ❖ إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ❖ ألا تعلو علي وأتوني مسلمين ❖ قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون " الآية [29-32]

على الرغم من أن النص القرآني يحكي قولين لقائل واحد: فيما يبد من ظاهر الخطاب هو ملكة سبأ وهما : إخبارها لهم بأمر الكتاب من سليمان عليه السلام . وطلبها المشورة منهم . وكان مقتضى الظاهر أن يأتي القول الثاني : " قال يا أيها الملأ أفتوني "معطوفاً بالواو على القول الأول أو أن لا يكرر (قالت) كما في قوله تعالى : " وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى

يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون " [يوسف ,43] إلا أن النظم القرآني عدل عن ذلك إلى الفصل مع تكرار قالت في النص السابق , ذلك للإشعار بأهمية الشورى قبل اتخاذ القرار والاعتناء بها والتأكيد عليها عن طريق الفصل والتكرار , فكيف ؟

إن فصل " يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون " عن " قالت يا أيها الملأ إني ألقي " قد أوحى أن ما في حيزّ القول الثاني هو تأكيد وتوضيح لما في حيزّ القول الأول ذلك لأن عرضها لكتاب سليمان لهم يهدف إلى المشورة عن طريق الفعل , وطلب الإفتاء بالقول أكد هذا المعنى , كما أن تكرار قالت في الخطاب أوحى أن القول توضيح وبيان لقولها الأول قصد به المخاطب , والقارئ لهذه الآية خاصة أولى الأمر ,لأن شأن القرآن فيما يذكره من القصص أن يذكر المهم منها للموعظة أو للأسوة فلذلك يستوحى من سياق هذه الآية حسن الشورى وإلا لو لم يرد ذلك لما كرر (قالت) مرة أخرى .[34]

الوصل في موضع الفصل

- عطف الخبر على الإنشاء

ذكر البلاغيون أن من موجبات الفصل بين الجمل أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى أو معنى فحسب (1) ومعنى ذلك إن المعنى هو الفيصل في الحكم على الخبرية أو الإنشائية في الجملة وليس اللفظ , لأن الجملتان قد تختلفان في الخبر والإنشاء إلا أن هذا الاختلاف لفظي فحينئذ لا يمنع الوصل .غير أن الحكم بوجوب الفصل -لاختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء- لم يكن دقيقاً والأولى أن يستبدل بـ الأصل أن يفصل بين الجمل إذا اختلفتا في الخبر والإنشاء . لأن الحكم بالوجوب فيه إجحاف بنصوص عديدة في القرآن وردت منزاحة عن هذه القاعدة لأغراض بلاغية لم تكن لولا هذا الانزياح ومن ذلك : -

الوصل لكمال الاستقلال في الحكم

من الأمور التي تقتضي الوصل بين الجملتين المختلفتين في الخبر والإنشاء الإشعار باستقلالية الجملة الثانية عن الأولى من ذالك : قوله تعالى "ولا تأكلوا مما لم يذكر أسم الله عليه وإنه لفسق" الأنعام{121ا} الجملة الأولى (لاتأكلوا) إنشائية : لأنها نهي، والجملة الثانية (إنه لفسق) خبرية فكان الظاهر يقتضي الفصل لهذا الاختلاف بحسب قاعدة الفصل . غير أن القرآن انزاح إلى الوصل محققا بذلك الغرض الذي أراده ، وهو التشديد والتأكيد على ذكر اسم الله عند الذبح بطريقتين : الأولى النهي عن الأكل .الثانية الوصف بفسوقه هذا الوصف الذي يحتمل أن يكون وصف للأكل أو وصفاً للذبح بحسب مرجع الضمير في (إنه) ؛ فإنه قد يرجع إلى مصدر الفصل المنهي عنه (الأكل) أو يرجع إلى (ما) ، وذلك لا يكون مع الفصل لأنه سيجعل الجملة الثانية تعليل للنهي فقط دون أن يشعر بالانفتاح السابق.

أما الفصل بين الجملتين فإنه يجعل الجملة الثانية جزءاً من الجملة الأولى ومتولدة عنها لأنها بمثابة التعليل للنهي , وبذا سيصير المعنى النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لأنه فسق , دون أن يفهم أن

الفعل نفسه فسق كما هو مع الوصل .

من هنا فإن المعنى مع الوصل أبلغ منه مع الفصل لأنه أكد عليه من عدة أمور التي هي النهي . والوصف . والاحتمالية في مرجع الضمير الذي شمل الأكل . الذبح بالوصف بالفسوق .

- الوصل للإحالة إلى نصوص أخرى متشابهة .

فضلاً عن الغرض السابق الذي أشير إليه في الآية السابقة فإن الوصل بين الجمل المختلفة في الخبر والإنشاء يحيل إلى تداخل النصوص فيما بينها وهو ما يفسر إعجاز القرآن وإلهية المصدر . ومن ذلك قوله تعالى : " قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ❖ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم "الشعراء [165 -166]

إن المتتبع للنص السابق في القرآن سيجد أنه قد كرر أكثر من مرة في القرآن في مواضع مختلفة ومن ذلك قوله تعالى في سورة هود " ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب" [64] وقوله تعالى "هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تلمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم" [الأعراف] [73]. ولو قارنا هذين النصين بالنص السابق متدبرين مصداقاً لقوله تعالى : " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لو جدوا فيه اختلافاً كثيراً " [النساء] [82]؛ لوجدنا أن قوله تعالى : "ولا تمسوها بسوء " في النصين الأخيرين قد عطف على قوله تعالى ((فذروها تأكل في أرض الله)) مما يعني أن الواو التي عطفت " لا تمسوها بسوء " في الشعراء قد استدعت التناص في السور الأخرى الذي كشف بوضوح عن إلهية المصدر للنص القرآني عن طريق هذا الترابط كما كشفت عن دلائل أخرى ذكرت في موضع وحذفت في آخر. فضلاً عن ذلك فإن الواو أشعرت بكمال واستقلال حكم ما بعدها عما قبلها اهتماماً بشأنه . فكيف ؟

إن النص القرآني أراد من خلال استدعاء التناص الإشارة إلى أن هذه الناقة آية . وإلى طلبه منهم أن يذروها تأكل من أرض الله . وإلى أن العذاب الذي ينتظرهم أليم وقريب وهو ما لم يذكره في سورة الشعراء فضلاً عن ذلك الإشارة الخفية إلى إعجاز النظم المتمثل بتميز الأسلوب على الرغم من تعدد التعبير عن الفكرة أما كمال الاستقلال فيتضح من خلال الفصل فلو قلنا : هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم لا تمسوها بسوء لتوهم أن النهي عن مسها بالسوء مختص في حل شربها فقط دون أن يفهم أن النهي مطلقاً بخلاف الوصل فإنه أشعر بذلك مع التأكيد على أن المزاحمة لها بالشرب هو من جملة المساس بالسوء ومن هنا كان التنكير و الإطلاق لكلمة " شرب " المسند للناقة " لها شرب "

الوصل إشعاراً بالتغاير في موطن التكرار

ذكر البلاغيون أن من موجبات الفصل بين الجمل أن يكون بين الجملتين اتصال تام . بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة- للجملة الأولى- تأكيدا لفظيا ؛ قصدوا به أن تتحد الجملتان في المضمون كقوله تعالى

: "آ لم ❖ ذلك الكتاب لا ريب فيه ❖ هدى للمتقين " فجملة " هدى للمتقين " يتفق مضمونها مع قوله " ذلك الكتاب " من حيث إن الكمال في الكتاب هو كمال في الهدى ,أ و أن تنزل الثانية منزلة التوكيد المعنوي وهو أن يختلف مفهوم الجملتين , لكن أن يلزم من تقرير معنى إحداهما تقرير معنى لآ خر , ومثلوا لذلك بأمثلة عديدة توضح مقصودهم من هذا الحكم.

غير أن حكمهم بوجوب الفصل في مثل ذلك فيه شيء من العموم كونهم لم يقيدوه بغرض الخطاب أو المخاطب بكسر الطاء, أو لأنه لا يشعر بأن لهذا الحكم أو القاعدة استثناءات ومن هنا لم يكن هذا الحكم دقيقاً , خاصة وقد وجد في النص القرآني نصوص خرجت عن هذه القاعدة , لهذا كان الأولى أن تستبدل عبارة ((من موجبات الفصل بين الجمل)) بـ ((الأصل أن يفصل بين الجمل)). ذلك لأن النص الإبداعي قد يعدل عن هذا الأصل لأغراض بلاغية قصدها من وراء هذا العدول ومن ذلك أن يعدل عن الفصل إلى الوصل في بعض المواضع التي تكون فيها الجملة الثانية منزلة منزلة التوكيد للجملة الأولى أو تبدوا كذلك من ظاهرة الخطاب كما في قوله تعالى : "يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين " [العمران] [42]

في هذه الآية أشعر الوصل بالواو أن الاصطفاء الثاني مغاير للاصطفاء الأول من حيث كان الاصطفاء الأول من قبيل التهيئة للثاني وهو : تقبل الله لها بقبول حسن , وتكفل زكريا لها , وإطعامها من ثمار الجنة.

أما الثاني فالمقصود به على ما يبدوا حملها لعيسى من غير أب وبذلك فإن الوصل قد أوحى بخصوصية المعنى للفعل " اصطفى " في ا لجملتين عن طريق المغايرة المجتلبة من الواو. ولو أنه فصل بين الجملتين لأشعر الفصل أن الفعل في الجملة الثانية بمثابة التفصيل والتوضيح للفعل الأول في الجملة الأولى.

يتصل بالغرض السابق ويتداخل معه الكثير من الآيات ومن ذلك قوله تعالى في سورة هود : " ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ " الآية [58] إذ أن الوصل أشعر بأن الإنجاء الثاني غير الأول والسبب واحد وهو الإيمان من حيث أن المقصود من الإنجاء الأول على مايبدو ما حل بقوم هود من العذاب في الدنيا , والمقصود بالإنجاء الثاني ما سيحل بهم من عذاب في الآخرة الذي هو أشد وأقسى من العذاب الذي لحقهم في الدنيا ولهذا وصف بـ ((غليظ)) بالإضافة إلى ما ذكر انظر[35]

الوصل للإشعار بالاتصال ومنع التناقض

من الأغراض البلاغية التي ينزاح فيها التركيب القرآني عن الفصل إلى الوصل الإشعار بالاتصال ومنع التناقض كما في قوله تعالى : " فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين " [20] فكيف ؟ إن النظرة

العجلى لوصل " قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة " بالواو وستذهب إلى أحد أمرين :

الأول : أن الوسوسة مغايرة للقول المعطوف بالواو على اعتبار أن الواو مشعرة بذلك .

الثاني : أن الوسوسة هي القول المذكور وعلى ذلك فلا معنى للواو لأن بينهما اتحاد تام فما بعد الواو موضح ومبين لما قبلها كما هو ظاهر السياق. لكن النظرة المتدبرة والمتأنية ستجد أن الإتيان بالواو مع قال إعجاز بلاغي. ذلك لأن القول المذكور ليس مغايراً للوسوسة وإنما هو مكمل لما جاء في سورة طه قال تعالى : " فوسوس إليه الشيطان قال يا آدام هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى "[20] فكأنه قال ذلك وقال " ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة " . ولو أنه فصل كما هو الظاهر لأوحى بالتناقض كونه يشير في سورة طه إلى نوع من الوسوسة . وهنا يشير إلى نوع آخر لكنه وصل منعاً لهذا الظن وللإشعار بأن قوله " ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكون ملكين أو تكونا من الخالدين " هو من ضمن الوسوسة . فكأنه أغراهما بالملك والخلود موسوساً على هيئة سؤال. ثم أكد ذلك الإغراء بأسلوب القصر عن طريق النفي والإثبات.ب(ما. وإلا)

ما فصل في موطن وفصل في آخر مشابه

إن ما يكشف إعجاز القرآن في استخدامه لهذه الظاهرة فضلاً عن تأكيده أن ظاهرة الفصل والوصل تخضع لمقاصد الخطاب العميقة وليس إلى شكله أو مايبدو عليه في الظاهر . وهو ما يجعل تفصيلات البلاغين لقوانين الفصل والوصل التي جاء بها الجرجاني وجعلهم لها من موجبات الفصل والوصل غير دقيقة ؛ إن ما يكشف ذلك فضلاً عما سبق استخدام القرآن لهذه الظاهر في المواطن المتشابهة في القرآن . إذ أنه يستخدم الفصل بين الجمل في موضع على حين يستخدم الوصل مع آخر مشابه له غير أن المشابهة في تلك النصوص قد تكون كلية لم تختلف إلا في الفصل والوصل . وقد تكون مشابهة في البناء الأسلوبي .

المشابهة الكلية والاختلاف في الفصل والوصل

من صور المشابهة والاختلاف في النص القرآني أن ترد بعض الآيات متشابهة في جميع عناصر البناء التركيبي لها بحيث تبدو إحداهما تكرارا للأخرى في المعنى الجزئي للفظة والمفهوم الكلي للجمل في الآية . ومع ذلك نجد الاختلاف بينهما في الفصل والوصل بين الجمل هذا الاختلاف هو الذي يحدد المعنى في الآتين ويقلل من اشتراكها وهو ما يبرز ظاهرة الإعجاز القرآني مع هذه الظاهرة .

وإذا كان القرآن قد استثمر ظاهرة الفصل في توجيه اتفاق القول واختلاف القائل في موطن سابق فإنه هنا يستثمر الاختلاف في الفصل والوصل لتحديد الدلالة في الاشتراك اللفظي . ومن ذلك على- ما يبدو – ما ورد في سورة الشعراء قال تعالى : " قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ❖ وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ" الآية [185/186] وقال تعالى في السورة نفسها "قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ❖مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" الآية[153].

إن لفظه (المسحرين) تحتمل أن تكون مأخوذة من (السَّحْر) بفتح السين مع التضعيف الذي هو الرئة . كما تحتمل أن تكون مأخوذة من (السَّحْر) بكسر السين مع التضعيف فتكون بمعنى ذهاب العقل فهل هي باقية على هذا الانفتاح في النصين السابقين ؟ هذا ما قاله المفسرون[36]

والذي يبدوا والله أعلم – أن معنى (المسحرين) في الآية [185] الذي غلب عليهم السحر فأذهب عقولهم . ومن أجل ذلك أتى بالواو بين القصرين مشيراً بذلك أنهم رموه بخصلتين كلتاهما منافية للرسالة في اعتقادهم . الأولى أنه مسحور . و الثانية أنه بشر ، وقد استبعدنا معنى الرئة لأنها رمزٌ للبشرية التي ذكرت صراحة في الجملة التالية المعطوفة على الجملة الأولى . والعطف في الغالب يقتضي المغايرة فضلاً عن ذلك أن الشيء لا يعطف على نفسه .

أما معنى المسحرين في الآية [153] الواردة في النص الثاني فإنها بمعنى (من ذوي الرئة) التي ترمز للبشرية ولذلك فصل النظم القرآني بين القصرين ليشعر –عن طريق الفصل– أن قصرهم له على البشرية في قوله تعالى : " ما أنت إلا بشر مثلنا " تأكيد وتوضيح لقصرهم عليها في الآية " إنما أنت من المسحرين " فضلاً عن ذلك فإن الفصل أشعر بأن تكذيب ثمود لصالح – عليه السلام – كان أقل من تكذيب أصحاب الأيكة لشعيب – عليه السلام – في النص السابق . إذ لم يرموه بالسحر كما فعل قوم شعيب يدلك على ذلك أنهم أردفوا خطابهم بقوله تعالى : " فأت بآية إن كنت من الصادقين " فهم يطلبون دليلاً على صدق رسالته لأنهم يعتقدون أن الرسالة تتنافى مع البشرية . أما قوم شعيب فقد أردفوا خطابهم بقوله تعالى : " وإن نضنك لمن الكاذبين " فالتكذيب صريح .

وشبيه بهذا تحديد معنى [الجنة] عن طريق الفصل والوصل:

كما في قوله : ((فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)) المؤمنون{19} وقوله : ((لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ)) الزخرف{73} قال في هذه السورة ومنها تأكلون بزيادة الواو لأن تقدير الآية منها تدخرون ومنها تبيعون وليس كذلك فاكهة الجنة فإنها للأكل فحسب فلذلك قال في الزخرف منها تأكلون ووافق هذه السورة ما بعدها أيضا وهو قوله ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون فهذا القرآن معجزة وبرهان[37]

يتصل بهذه الظاهرة . أن تتشابه الجمل في عناصر البناء والترتيب ولم تختلف إلا في الفصل أو الوصل قال تعالى في سورة إبراهيم : "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ"{6} وقال تعالى في سورة البقرة : "وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ " البقرة{49} إذ إنّ فصل يذبحون في البقرة عمّا قبلها أشعر أن سوء العذاب هوالتذبيح بينما وصل ذلك بالواو في إبراهيم أشعر أن العذاب غير التذبيح اهتماما بشأنه فعطفه

من عطف الخاص على العام لأنه من كلام موسى عليه السلام قال الكرماني : (لأن ما في هذه السورة والأعراف من كلام الله تعالى فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي في إبراهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مأمورا بذلك في قوله" وذكرهم بأيام الله" [38]

يتصل بهذا قوله تعالى :" وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين" البقرة{58} وقوله تعالى: "وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين " الأعراف{ 161} فالملاحظ أن قوله : سنزيد المحسنين في الآيتين وردت مرة موصولة بالواو[في البقرة] وأخرى مفصولة[في الأعراف] والسبب في ذلك على مايبدو أن الواو هنالك لحكاية الأقوال فهي من الحكاية لا من المحكي أي قلنا وقلنا سنزيد. أمّا جملة (سنزيد المحسنين) فمستأنفة استئنافا بيانيا لأن قوله (تغفر لكم) في مقام الامتنان بإعطاء نعم كثيرة مما يثير سؤال سائل يقول : وهل الغفران هو قصارى جزائهم ؟ فأجيب بأن بعده زيادة الأجر على الإحسان أي على الامتثال[39]

المتشابهة في الهيكل البنائي والاختلاف في الفصل والوصل .

يختلف هذا السياق على السياق السابق في أن المشابهة فيه مقتصرة على الهيكل البنائي أو النمط الأسلوبي – إن صح التعبير – بينما المشابهة في السياق السابق كانت في هيكل البناء ومادته والآيات القرآنية التي تتشابه في هيكل البناء وتختلف في الفصل والوصل كثيرة في النص القرآني ومن ذلك مواطن السرد للحوار الذي ينقله النص القرآني

من ذلك قوله تعالى في سورة يوسف" وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۞ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ " وقال تعالى في سورة النمل: "قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ " الآية [38-40]

إن هيكل بناء النصين السابقين واحد ففي كل واحد منهما قولان هما " قالوا أضغاث أحلام " "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ" في النص السابق و "قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين " و "قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك " في النص الثاني. وهذان القولان في النصين قد تولدا من قول سابق لهما هو: قول الملك في سورة يوسف وقول النبي سليمان في سورة النمل غير أن القول الثاني في سورة يوسف " وقال الذي نجا منهما " قد ورد موصولاً بالقول السابق له بالواو والقول الثاني في نص سورة النمل: " قال الذي

عنده علم من الكتاب " ورد مفصولاً عن القول الأول فما سبب هذه المغايرة في الفصل والوصل في النصين ؟ أو بمعنى آخر ما دلالة الفصل هنا والوصل هناك ؟

إن الناظر إلى القولين في سورة يوسف يجد هما متغايرين في أمرين : تحقق طلب القول السابق لهما, وزمن صدور القول من حيث أن الأول منهما رفض الطلب , والثاني كان بعد فترة زمن القولين لم يكن واحد إذ أن صدور القول الثاني كان بعد فترة طويلة من صدور القول الأول قال تعالى : ((وادكر بعد أمة)) ومن هنا كان الوصل مناسباً تحقيقاً لهذا التغاير , فضلا عن ذلك فإن الوصل أشعر بأن المخاطب بالقولين قد عمل بالقولين معاً . أما القولان في نص سورة النمل فإن كل منهما يحقق الطلب للقول السابق لهما , وقد صدر ا في موقف واحد وزمان واحد وهو زمن القول السابق لهما ومن هنا كان الفصل إشعاراً بذلك . بيد أن هناك سبب آخر أهم أراده النص القرآني من خلال الفصل هو أن المخاطب بالقولين أخذ بالقول الثاني دون الأول , يفهم ذلك من خلال زمن تحقيق الطلب في القولين إذ إن زمن تحقيقه في القول الثاني أقصر من زمن تحقيقه في القول الأول , فالأول " قبل أن تقوم من مقامك " والثاني " قبل أن يرتد إليك طرفك "

يتصل بهذا قوله تعالى : "ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا "طه{105} جميع ما جاء في القرآن من السؤال وقع عقبه الجواب بغير الفاء إلا في قوله ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي 20 105 فإنه أجيب بالفاء لأن الأجوبة في الجميع كانت بعد السؤال وفي طه قبل وقوع السؤال فكأنه قيل إن سئلت عن الجبال فقل ينسفها ربي[40]

المشابهة في الحكم البلاغي والاختلاف في الفصل والوصل :-

يتصل بالمبحث السابق ويتعالق معه ما سمي عند البلاغيين ب(شبه كمال الانقطاع) وهو : أن توجد جملة في السياق عقب جملتين يصح عطفه على الأولى منها ولا يصح عطفها على الأخرى فيترك العطف كلية دفعا للتوهم.من ذلك قوله تعالى : "وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون" البقرة}14,15{

ذكر البلاغيون أن جملة"اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ" فصلت عن "وَإِذَا خَلَوْاْ" مع أنه يصح عطفها عليها لئلا يتوهم أنها معطوفة على جملة (إِنَّا مَعَكْمْ) فتكون من مقولهم ، أو على جمة (قالوا) فتصير مقيدة بقوله (وَإِذَا خَلَوْاْ) .بيد أن ما ذكره البلاغيون لم يكن السبب وراء الفصل إنما هناك أسباب أخرى سنوضحها تباعاً ،بدليل أن هناك من الآيات التي تتشابه مع هذه الآية في هذا السبب ، ومع ذلك وردت موصلة بالواو .

من ذالك قوله تعالى في سورة العنكبوت "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" الآية [12] ، وقوله تعالي في سورة

[المنافقون] " إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ" الآية [1]

إن جملة " وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ"في آية العنكبوت وجمله " اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ"في آية [المنافقون] تشبهان جملة " اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ " في البقرة ، ومع ذالك وردت الآيتان موصلة بالواو ، ولم يتوهم هذا اللبس المذكور ، ذالك لأن الواو في الجملتين هي واو الحال ، ولو دخلت على جملة "اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" لكانت كذلك . لذا فلا معنى لأن يعلل الفصل في آية البقرة . بما ذكر سيما وقد وجد المثيل الموصول بالواو في [العنكبوت ، والمنافقون] . فضلاً عن ذلك فإن هذا التعليل يذهب بالغرض من الفصل في آية [البقرة والوصل في العنكبوت والمنافقون] إذ أن الفصل في البقرة أشعر باستقلالية الجملة ؛إذ هى تهديد وتصريح للمنافقين نتيجة موقفهم السابق وهى بالمقابل تطمين وإيناس للرسول (ص) ولمن معه من المؤمنين ؛ بالجزاء العادل المرتقب . يتضح ذلك من خلال المشاكلة الفظيه في الآية فضلاً عن ذلك فإن الفصل أشعر بأن الجملة دعاء عليهم من قبل القارئ لهذه الآية .على أن الوصل في " ما هم بحاملين من خطاياهم " و"الله يعلم أنك لرسوله " أشعر بأن ما بعد الواو بحكم الحقائق المسلم بها التي لا تحتاج إلي إثبات.

من خلال ذالك فضلاً عما تقدم من الآيات يتضح أن الفصل والوصل بين الجمل يرجع إلي أغراض دلالية وأسرار بلاغيه يقصدها المتكلم من خلال ذلك ، وإن ما فصله البلاغيون للقوانين التي أجملها الجرجاني ، لم تكن إلا من تلك الأغراض .

الفصل والوصل مراعاة للتوافق اللفظي في السياق:

الأصل في الجملة إذا وقعت بعد جملة أجنبية لا تحسن إلا بحرف العطف وإن كان في الجملة الثانية ما يعود إلى الأولى حسن إثبات حرف العطف وحسن الحذف اكتفاء بالعائد كقوله تعالى : "أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" التوبة{89} وقوله تعالى"تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" النساء{13} قوله خالدين فيها وذلك الفوز العظيم بالواو وفي براءة ذلك بغير واو ولفظ ذلك في الآيتين يعود إلى ما قبل الجملة فحسن الحذف والإثبات فيهما ولتخصيص هذه السورة بالواو وجهان لم يكونا في براءة أحدهما موافقة لما قبلها وهي جملة مبدوءة بالواو وذلك قوله ومن يطع الله والثاني موافقة لما بعدها وهو قوله وله بعد قوله خالدا فيها وفي براءة أعد الله بغير واو ولذلك قال ذلك بغير واو[41]

يتصل بذلك قوله تعالى : "وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء الَّلاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا" النساء{127} وقوله : "يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا

وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" النساء{176}

قوله يستفتونك 176 بغير واو لأن الأول لما اتصل بما بعده ؛أي ذكر المستفتى عنه وهو قوله في النساء وصله بما قبله بواو العطف والعائد جميعا والثاني لما انفصل عما بعده ؛ أي لم يذكر المستفتى عنه ؛ اقتصر من الاتصال على العائد وهو ضمير المستفتين وفي الآية متصل بقوله [يفتيكم] وليس بمتصل بقوله يستفتونك لأن ذلك يستدعي قل الله يفتيكم في الكلالة والذي يتصل ب [يستفتونك] محذوف يحتمل أن يكون في الكلالة ويحتمل أن يكون فيما بدا لهم من الوقائع.[42]

استخدام حروف العطف:

الأصل في استخدام حروف العطف أن تكون الواو لمطلق الجمع [43] والفاء للترتيب مع التعقيب وثم للترتيب مع التراخي نحو قوله تعالى (والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين) فالأول عطفه بالواو التي هي للجمع وتقديم الإطعام على الإسقاء والإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسم النظمِ ثم عطف الثاني بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهماِ ثم عطف الثالث بثم لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمانٍ ولهذا جيء في عطفه بثم التي هي للتراخي[44]

ومن ذلك قوله تعالى " قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره " ألا ترى أنه لما قال " من نطفة خلقه " كيف قال (فقدره) ولم يقل ثم قدره لأن التقدير لما كان تابعاً للخلقة وملازماً لها عطفه عليها بالفاءِ وذلك بخلاف قوله ثم السبيل يسره ؛ لأن بين خلقته وتقديره في بطن أمه وبين إخراجه منه وتسهيل سبيله مهلة وزماناً فلذلك عطفه بثمِ وعلى هذا جاء قوله تعالى (ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره) ؛لأن بين إخراجه من بطن أمه وبين موته تراخياً وفسحةِ وكذلك بين موته ونشوره أيضاً ولذلك عطفهما بثمِ ولما لم يكن بين موت الإنسان وإقباره تراخٍ ولا مهلة عطفه بالفاءِ.[45] غير أن النص القرآني قد ينزاح عن هذه القواعد لأغراض بلاغية جمالية لم تكن لولا هذا الانزياح ونلمس هذا من خلال أمرين :

الأول : الانزياح عن المعيار السابق لأدوات العطف ؛ ونعني به أن يستخدم النص القرآني في سياق أحد حروف العطف والظاهر يقتضي غيره لأغراض بلاغية من ذلك :

الاقتصاد اللغوي: كقوله تعالى:" وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ" الأعراف{4} فالظاهر أو المعيار يقتضي العطف بالواو في[جاءها] لا الفاء أو تقديم البأس علي الإهلاك بحسب قاعدة الفاء التي تدل على الترتيب والتعقيب وظاهر الترتيب أن يسبق البأس ثم يعقبه الإهلاك غير أن النص القرآني انزاح عن هذه القاعدة وغرضه من ذلك الاقتصاد اللغوي فكيف؟إنّ هذا الانزياح أوحى بالآتي :الاهتمام بالإهلاك عن طريق التقديم ومن ثمّ فالترتيب ترتيب لفظي وليس ترتيب حدوثي ؛ بمعنى

أن الهلاك كان عقب البأس وبعده إلاّ أنه قدمه بالذكر اهتماما به.أنه أراد من لفظ الهلاك الإرادة ؛ بمعنى أردنا إهلاكها ؛ فعبر بالفعل للإشارة إلى أنّ هلاكهم محقق لا رجعة عنه تخويفا وزجرا لهم. أنه أراد التفصيل بعد الإجمال فذكر الإهلاك ثم فصله بنوعين أحدهما مجيء البأس بياتا أي ليلا والثاني مجيئه وقت القائلة وخص هذين الوقتين لأنهما وقت راحتهم وطمأنينتهم فجاءهم بأس الله.في وقت طمأنينتهم وسكونهم على عادته سبحانه في أخذ الظالم في وقت بلوغ آماله وكرمه وفرحه[46].

الثاني : الانزياح في السياقات التي تبدو متشابهة فعلى حين يستخدم الواو في آية نجده في آية أخرى مشابهة يستخدم غيرها من الأدوات لحكمة بلاغية اقتضاها النظم المعجز ومن ذلك :

الواو والفاء : قال تعالى : "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" البقرة{58} وقوله تعالى في الأعراف: "وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَا بَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" {161} نلاحظ أنه قال في البقرة[فكلوا] بالفاء وفي الأعراف [وكلوا] بالواو وذلك لأنه قال في البقرة [ادخلوا] والدخول قد يكون لفترة يسيرة فيتبعه الأكل من أجل ذلك استخدم الفاء أمّا في الأعراف قال :[اسكنوا] المعنى أقيموا فيها وذلك ممتد فذكر بالواو أي ا جمعوا بين ا لأكل والسكون[47].

الفاء وثم : قال تعالى : "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا" الكهف{57 }وفي السجدة ثم أعرض عنها قال تعالى :"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ"{22} ؛ لأن الفاء للتعقيب وثم للتراخي وما في هذه السورة في الأحياء من الكفار إذ ذكروا فأعرضوا عقب ما ذكروا ونسوا ذنوبهم وهم بعد متوقع منهم أن يؤمنوا وما في السجدة في الأموات من الكفار بدليل قوله" ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم"{ 12 }أي ذكروا مرة بعد أخرى وزمانا بعد زمان ثم أعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء إيمانهم[48].

الواو وثم : قال تعالى : "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ونتلوكم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" الأنبياء{ 35 }وفي العنكبوت" ثم إلينا ترجعون"{ 57 } ؛ لأن ثم للتراخي والرجوع هو الرجوع إلى الجنة أو النار وذلك في القيامة فخصت سورة العنكبوت به وخصت هذه السورة بالواو لما حيل بين الكلاميين بقوله" ونتلوكم بالشر والخير فتنة"{ 35 }وإنما ذكرا لتقدم ذكوهما فقام مقام التراخي وناب بالواو منابة.

عطف الشيء على نفسه:

القاعدة أن الشيء لا يعطف على نفسه لأن حروف العطف بمنزلة تكرار العامل لأنك إذا قلت قام زيد وعمرو فهي بمعنى قام زيد وقام عمرو والثاني غير الأول. غير أن النص القرآني قد ينزاح عن هذه

القاعدة لأسباب بلاغية بيانية يقتضيها المقام" فإذا وجدت مثل قولهم كذبا ومينا[48] لمعنى زائد في اللفظ الثاني وإن خفي عنك"[ومن] ذلك قوله تعالي : "هوا لأول والآخر والظاهر والباطن" الحديد{3} ؛ فالأول و الآخر والظاهر والباطن كلها من أسماء الله تعالى فكان الظاهر أن تأتي بغير عطف غير أن النص القرآني أوردها معطوفة بالواو للأسباب الآتية على مايبدو هي :

- صرف لوهم المخاطب قبل التفكر والنظر عن توهم المحال واحتمال الأضداد لأن الشيء لا يكون ظاهرا باطنا من وجه واحد وإنما يكون ذلك باعتبارين فكان العطف ههنا أحسن من تركه

- الإشارة إلى كمال الموصوف عن طريق العطف ؛ فإنه لما كانت هذه الألفاظ دالة على معان متباينة وأن الكمال في الاتصاف بها على تباينها أتى بحرف العطف الدال على التغاير بين المعطوفات إيذانا بأن هذه المعاني مع تباينها ثابتة للموصوف بها.

ووجه آخر وهو أحسن منها وهو أن الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم وتقريره وبيان ذلك أنه إذا كان لرجل مثلا أربع صفات هي عالم وجواد وشجاع وغني وكان المخاطب لا يعلم ذلك أو لا يقر به ويعجب من اجتماع هذه الصفات في رجل فإذا قلت زيد عالم وكان ذهنه استبعد ذلك فتقول وجواد أي وهو مع ذلك جواد فإذا قدرت استبعاده لذلك قلت وشجاع أي وهو مع ذلك شجاع وغني فيكون في العطف مزيد تقرير وتوكيد لا يحصل بدونه. وإذا عرفت هذا فالوهم قد يعتريه إنكار لاجتماع هذه المتقابلات في موصوف واحد فإذا قيل هو الأول ربما سرى الوهم إلى أن كونه أولا يقتضي أن يكون الآخر غيره لأن الأولية والآخرية من المتضايفات وكذلك الظاهر والباطن إذا قيل هو ظاهر ربما سرى الوهم إلى أن الباطن مقابله فقطع هذا الوهم بحرف العطف الدال على أن الموصوف بالأولية هو الموصوف بالآخرية . والموصوف بالظاهرية هو الموصوف بالباطنية فكأنه قيل هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن لا سواه[49]

الخاتمة

توصل الباحث من خلال تحليله لمجموعة من الآيات التي خرجت عن مقتضى الظاهر في الفصل أو الوصل إلى مجموعة من النتائج لعل أبرزها :-

- إن هناك ظاهرة قرآنية تكرر ورودها في أكثر من موضع في النص القرآني هي ظاهرة الفصل بين قولين لقائل واحد بتكرار (قال) بين القولين لأغراض دلالية من ذلك :- الإشارة إلى الكلام النفسي أو الجانبي - الفصل للإحالة إلى نصوص أخرى متشابهة - الفصل إشعار باختلاف مرجع الضمير في القولين - الفصل لتأكيد أو التوضيح لمضمون القول السابق
- أن هناك العديد من الآيات وردت موصلة بالواو مع أن الظاهر بحسب تفصيلات البلاغيين يقتضي الفصل ، ومن ذالك -عطف الخبر على الإنشاء أو العكس - الوصل بين جملتين بالواو مع أن الظاهر يقتضي أن بينها كمال الاتصال

- أن هناك بعض الآيات تشابهت في المضمون والصياغة واختلفت في الفصل و الوصل ، كما أن هناك بعض الآيات التي تشابهت في الهيكل البنائي واختلف في الفصل والوصل لأغراض بيانية ، وبلاغية بينها الباحث في موطنها من البحث .
- أن النص القرآني قد يخرج عن الاستخدام المألوف لأحرف العطف تارة بخروجه عن المعيار الأسلوبي وتارة بانزياحه عن نسق مشابه في آية أخرى كل ذلك لأغراض بلاغية وبيانية أبرزها الباحث في مبحث استخدام أحرف العطف. من خلال النتائج السابقة توصل الباحث إلى :
- أن خاصية الفصل أو الوصل بين الجمل تخضع بدرجة كبيرة إلى مراد المتكلم، وليس إلى ظاهر الخطاب.
- أن ما ذكره البلاغيون من مواطن الفصل أو الوصل بين الجمل لم تكن إلا بعض الأمثلة أو الأغراض التفصيلية ، والتوضيحية للقوانين العامة للفصل والوصل التي أتى بها عبد القاهر الجرجاني وليست كلها.
- أن تفصيلات البلاغيين لقانون كمال الانقطاع نظرت إلى الناحية التشكيلية ، عندما أوجبت الفصل لاختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء ، أو انعدام المناسبة بين الجملتين مع أن الناحية الشكلية غير مقصودة في البلاغة ، فضلاً عن ذلك ورد العديد من الآيات التي خالفت هذه النظرة.

التوصيات

لكل ذلك يوصي الباحث إعادة القراءة للخاصية البلاغية من خلال النصوص الإبداعية على أن ينطلق البحث في الظاهرة البلاغية من حيث وصل الآخرون و من النص الإبداعي إلى القاعدة وليس من القاعدة إلى النص. فإذا فعلنا ذالك نستطيع الخروج بقوانين جديدة ونظريات حديثة نابعة من ثقافتنا ومبنية على تذوق النصوص الجميلة واستكشاف سر جمالها وإبداعها ؛ بمعنى أن نعود بالبلاغة إلى الاتجاه المبني على الذوق والتذوق للنصوص كما وجدت عند الجرجاني .

الهوامـش

1 = ينظر دلالات التركيب / بحث الفصل والوصل

2 = ينظر لسان العرب مادة (وصل)

3 = المصدر نفسه مادة(فصل)

4 = ينظر بغية الإيضاح 62/2 عبد المتعال الصعيدي

5 = دلائل الأعجاز / 171 .

6 = قبل بل نفيد أنهما كالنظرين . والشريكين بحيث إذا علم السامع حال الأول عساه أن يعرف حال الثاني ☐ ينظر البرهان في علوم القرآن ،الزركشي ، 4/2-1

7 = ينظر البغية 62/2.

8 = ينظر البيان والتبيين الجاحظ تح عبد السلام محمد هارون ، 88/1

9 = ينظر. الصناعتين. لأبي هلال العسكري. الموسوعة الشعرية

10 = دلائل الإعجاز. /178 .

11 = (نقلا عن المعاني في ضوء أساليب القرآن / عبد الفتاح لا شين /312

12 = ينظر دلائل الإعجاز . /171

13 = ينظر دلائل الإعجاز /178-188

14 = ينظر . الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القز ويني.148/1

15 = السابق

16 = ينظر البرهان 102/4

17 = انتفاء الجامع بين الجملتين قد يكون بسبب انتفائه عن المسند إليه فيها كقولك زيد طويل . وعمر قصير إذا لم يكن بينهما جامع من صداقة ونحوها . وقد يكون بسبب انتفائه عن المسند فيها كقولك ☐ زيد طويل . وعمرو نائم في حال وجود صداقة بينهما . ينظر بغية الإيضاح 70/2 .

18 = السابق 77/2. 78.

19 = يقصد كمال الانقطاع . وشبه كمال الاتصال . وشبه كمال الانقطاع

20 = ينظر بغية الإيضاح 84/2

21 = كمال الاتصال وكمال الانقطاع المشار إليها سابقاً

22 = ينظر الآيات المتناولة في التحليل لا حقاً.

23 = ظاهرة توسيط ((قال)) مفصول بين قولين لقائل واحد.

24 = ينظر إرشاد العقل السليم / 295/3

25 = ينظر التفسير القرآني للقرآن. عبد الكريم الخطيب. دار الفكر. 88/19

26 = ينظر إرشاد العقل السليم / 295/3= الكشاف. 131/2

27 = ينظر التحرير والتنوير. الطيب بن عاشور.1607/1

28 = ينظر إرشاد العقل السليم / 295/3= الكشاف. 131/2

29 = المرجع السابق

30 = ينظر الكشاف 131/2

31 = ينظر روح المعاني. 76/19

32 =إرشاد العقل السليم170/1

33 = التحرير والتنوير . الطيب ابن عاشور . المكتبة الشاملة.1510/1

34 = التحرير والتنوير. المكتبة الشاملة. 3075/1

35 = الآيات (7) ، (18) ، (5) ، (198) من سورة الأحزاب ، الحشر ، البقرة .

36 = ينظر روح المعاني 160/19

37 =ينضر أسرار التكرار في القرآن ،: محمود بن حمزة بن نصر لكرماني الناشر : دار الاعتصام - القاهرة الطبعة الثانية ، 1396تحقيق : عبد القادر احمد عطا.147/1

38 = ينظر أسرار التكرار لكرماني. 27/1

39= ينظر أسرار التكرار 27/1 وما بعدها

40 = ينظر المرجع السابق . 41/1

41 = بنظر أسرار التكرار في القرآن .54/1

42 =المرجع السابق.59/1

43 = بمعنى أنها لإتراعي ترتيبا أو تعقيبا بين المعطوف والمعطوف عليه ؛فقد تعطف الشيء على مصاحبة نحو (فأنجيناه وأصحاب السفينة) وعلى سابقه نحو (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم) وعلى لاحقه نحو (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك) وقد اجتمع هذان في (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) متقدما

44 =ينظر.ا لمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.المؤلف : أبي الفتح ضياء الدين نصرا لله بن محمد بن محمد بن عبدا لكريم الموصلي الناشر : المكتبة العصرية - بيروت ، 1995تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد.46/2

45 = المرجع السابق .1 /203

46 = بدائع الفوائد202/1

47= ينظر أسرار التكرار .28/1

48 = السابق133/1

49 = المرجع السابق . 1/ 98

قائمة المصادر والمراجع

1- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث القاهرة 1967م

2- أسرار التكرار في القرآن ,المؤلف : محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ,الناشر : دار الاعتصام □ القاهرة,الطبعة الثانية ، 1396 ,تحقيق : عبد القادر أحمد عطا.

3- إرشاد العقل السليم ، أبو السعود محمد العمادي ، دار إحياء التراث

4- الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، د/ أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية 1996م

5- الإعجاز البياني للقرآن ، د/ عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ط 2

6- إعجاز القرآن ، وعلم المعاني ، د/ عمر الملاح حويش ، مكتبة الفلاح ، الكويت ط1407 هجريه □ 1986م

7- الإيضاح تلخيص المفتاح ، الخطيب القز ويني ضمن كتاب بغية الإيضاح ، عبد المتعال الصعيدي ، مكبة محمد علي صبيم ، الأزهر ط.

8- بدائع الفوائد,المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ,الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة,الطبعة الأولى ، 1416 □ 1996 ,تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي.

9- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم دار الجيل

11- البرهان في متشابه القرآن ، الكرماني ، دار الوفاء للطباعة ط 1418-1981م

12- البيان والتبيين للجا حض ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، 1975م

13- تأويل مشكل القران ، أبى قتيبة ، تح السيد أحمد صقر ، ، ط3 ، المكتبة العلمية ، 1401هـ□1981م

14- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ، وبيان إعجاز القران ، ابن أبي الإصبع تح ، حنفي شرف ، نشر لجنة أحيا التراث الإسلامي

15- تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناص ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء1986م

16- التعبير القرآني ، د/ السامرائي ، دار عمار ، عمان ط2 2002م

17- تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر

18- التفسير القرآني للقران ، د/عبدا لكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، القاهرة

19- خصائص التعبير القرآني ، وسماته البلاغية ، د/ عبد السلام إبراهيم ، مكتبة وهبه ط1 1992م

20- دراسات لأسلوب القران الكريم ا محمد عبدالخالق عظيمه دار الحديث

21- درة التنزيل ، وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ، منشورات دار الأفاق الجديدة ،

22- دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، تعليق محمد عبده / والسيد محمد رشيد رضا دار المعرفة ، بيروت 1402هـ- 1982م

23- دلالات التراكيب دراسة بلاغية ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبه القاهرة ط2

24- ديناميكية النص ، تنظير وإنجاز ، د/محمد مفتاح المركز الثقافي العربي ، ط2 1990م

25- روح المعاني ، محمد الألوسي ، تح محمد أحمد الأمد ، ومحمد عبدا لسلام ، دار إحياء التراث العربي ط1 1992م

26- علم المعاني بين بلاغة القدماء وأسلوب المحدثين /طالب محمد إسماعيل-منشورات جامعة قار يونس ، بني غازي ط1 1998م

27- القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، تح مكتب تحقيق التراث بيروت

28- قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، الشيخ جلال الحنفي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بغداد 1987م
29- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى ابن حمزة العلوي- دار الكتب العلمية، بيروت 1980م
30- الكشاف عن حقائق التنزيل ،الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ط2 2
31- كيف اشرح النص الأدبي، قريرة، دار قرطاج للنشر تونس 1996م
32- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي
33- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ،تح محمد بن علي ، د/ حمدي صبيح ، دار الحديث القاهرة 2003م
34- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د/ عبد الفتاح لاشين ، المكتبة الأموية ط 4
35- معاني القرآن للفراء، تح محمد علي النجار ، ط 2003/3م
36- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي، د/ محمد حماسة دار الشروق ط1 القاهرة 2000م
37- النص ألأدبي تحليله وبناؤه مدخل إجرائي ، د/ خليل إبراهيم ، عمان ط1 1985
38- نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، د/ بشرى موسى صالح ، مط دار الشؤون الثقافية العامةالعراق ط1 1999م